الأوضاع السياسية في عهد مروان الثاني

تمهيد:

أصبح الحكم الأموي بعد مقتل الوليد الثاني يستند على جماعات متنافرة ليس لها هدف يجمعها ويوحد كلمتها. ووجدت في المجتمع الإسلامي تيارات متعددة يرتبط كل منها بفئة أموية، أو يقف موقف المعارض استناداً إلى مصالحه الدنيوية.

وطبيعي، نتيجة ذلك، أن تضعف القاعدة وتتفكك ويضطرب رأس الهرم، وتعم الفوضى العاصمة المركزية وعواصم الأطراف.

في ظل هذه الأجواء وجد الناقمون على بني أمية، والثائرون على حكمهم والمتآمرون على البيت الأموي، الذي يتهيأون لانتزاع السلطة منهم، أن الفرصة مؤاتية لإنزال الضربة القاضية لهذه الأسرة الأموية المفككة والمتناحرة فيما بينها.

وهكذا كثرت الاضطرابات، وعمت الفتن الأطراف، وظهر المغامرون وطلاب الثروة والجاه، يريدون أن يحققوا ما عجزوا عن تحقيقه حين كانت الدولة متماسكة.

فجماعة العباسيين الذين أخذوا يتحينون الفرص لتوسيع رقعة دعوتهم والتهيؤ للانقضاض على الدولة الأموية الممزقة، وجماعة الشيعة والخوارج، وبعض القوى القبلية المتربصة بالحكم الأموي، تتحين الفرصة للوثوب، وخلع الطاعة، واستلام الحكم.

ومن العوامل التي هيأت الجو لقيام الثورات على حكم مروان الثاني نقل العاصمة، والصراع على السلطة، بين أفراد البيت الأموي، والنزاع القبلي.

والحقيقة أنه بعد أن تم الأمر لمروان الثاني واستقر له الحكم في بلاد الشام، أقام بحران وجعلها حاضرته، وهذا طبيعي بفعل نشأته فيها في ظل غلبة القيسية. وقد أدى ذلك إلى انحراف اليمنية عنه، وانضمامهم إلى الدعوة العباسية، وقد أساء نقل العاصمة من دمشق إلى حران، إلى أهل الشام عامة، إذ شعروا بأنهم خسروا المركز الممتاز لدمشق، وما كان يجره ذلك من خيرات تتدفق عليهم، لذا عمت النقمة بلاد الشام.

كان مروان متعصباً لأمويته، وحاول جاهداً أن يتلافى الخلل والاحتفاظ ببقاء الحكم في أسرته، فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله، وحرص على تلاحم مختلف الفئات

الأموية، فزوج ولديه من ابنتي عبد الملك، لكن الصراع داخل البيت الأموي قد بلغ حداً مما لا ينفع معه علاج.

اعتمد مروان الثاني على القيسية لأنه قام أساساً يطالب بدم الوليد الثاني، كما أن الجزيرة، مستقر ولايته، كانت معقل القيسيين، فاعتبرت القبائل اليمنية، التي ألفت وجود حلفائها في السلطة، ذلك تحدياً، مما دفعها للقيام بانتفاضات ضد السلطة خاصة في فلسطين. وتكمن خطورة هذه الانقسام القبلي الذي قام في ذلك الوقت، في أنه حدث في قلب الدولة الأموية في دمشق، ولهذا كان الاضطراب في بلاد الشام إيذاناً باضطراب أمر الدولة كلها. وكان من الطبيعي أن يواجه مروان التحدي بمثله، إلا أنه حاول في بادئ الأمر، أن يهدئ الخواطر، وأن يبعث الثقة في النفوس، باسترضاء العناصر العربية المختلفة، كما أظهر حسن نية تجاههم بأن ترك لهم اختيار ولاتهم مظهراً بذلك مرونة سياسية، إلا أن الأوضاع السيئة وصلت إلى نقطة اللاعودة وكان على مروان الثاني أن يدفع ثمن أخطاء من سبقه من الحكام.

خروج أهل حمص:

كان أهل حمص قد بايعوا مروان الثاني، وساروا معه إلى دمشق، إلا أنهم خرجوا على حكمه بعد ذلك. والراجح أن خلافات شخصية هي التي فجرت حركتهم، ذلك أن ثابت بن نعيم الجذامي، أحد القادة المسلمين، كان على خلاف مع مروان منذ أن كان هذا والياً على أرمينيا، فلما ولي الخلافة، اختار أهل فلسطين ثابتاً هذا والياً عليهم واعترف به الخليفة تنفيذاً لسياسته الانفتاحية. ويبدو أن الخلاف ظل محتدماً بين الرجلين، فسعى ثابت إلى استقطاب اليمنية في حمص، الذين وقفوا ضد مروان الثاني، ثم تزعمهم وأعلن خروجه. واستنجد أهل حمص بالكلبيين في تدمر، فأمدوهم بقوة عسكرية.

حاول مروان الثاني، في بادئ الأمر، إصلاح الأحوال بالطرق السليمة، إلا أن أهل حمص لم يرتدعوا. عندئذ اضطر الخليفة أن يخرج بنفسه لوضع حد لحركتهم. وكانت له مع الحمصيين وقائع حاسمة انتصر فيها عليهم، وهدم أسوار مدينتهم.

خروج أهل الغوطة:

في الوقت الذي كان فيه مروان الثاني منهمكاً في إخماد حركة أهل حمص، قامت حركة أخرى ضد حكمة في الغوطة، وقد ولى أهلها عليهم زعيماً يمنياً هو يزيد بن خالد القسري، وحاصر الخارجون مدينة دمشق، إلا أن مروان الثاني تمكن من فك الحصار عن المدينة، وطارد الثائرين وأحرق المزة وقوى اليمانية وقتل يزيد بن خالد.

خروج أهل فلسطين:

تعتبر الانتفاضة التي قامت في فلسطين ضد حكم مروان الثاني من أخطر الحركات المناهضة التي شهدها حكم هذا الخليفة. والواقع أن ثابت بن نعيم الجذامي استمر في عداوته لمروان وراح يحرض قرى بلاد الشام على نبذ طاعته، ثم تمادى في معارضته حتى خلعه وقاد أهل فلسطين في حركة ضد النظام الأموي.

تحرك مروان الثاني بسرعة وعاجل ثابت بقوة عسكرية بقيادة أبي الورد بن الكوثر الذي تمكن ن القضاء على الثورة، ووقع ثابت في اسر وإلى فلسطين الذي عينه مروان الثاني، فأرسله إلى الخليفة حيث قتله.